

خطوت بضع خطوات وأنا متردد محجم .. فوجدتني على مفرق
طريقين .. فقرأت هذه الكتابة القائمة على رأس عمود هنا :

الطريق المؤدى إلى اليسار طريق الحرية

الطريق المؤدى إلى اليمين طريق المبودية

الزمت جانب اليسار ، وسرت على قدمي حتى الصباح .. وعند
انبثاق الفجر وجدت نفسي أمام قلعة .. وهناك قرأت لوحا كتبت
عليه بأحرف ذهبية هذه العبارة :

« بلاد الأحرار »

قلت : هذه ضالتي التي نشدتها ثم همت بالدخول .. قطع
الحراس السبيل .. وسألوني :

— من أنت ؟ .. ومن أين قدمت ؟ .. وإلى أين تقصد ؟

قلت :

— كنت أسيراً .. فخطمت سلاسل وحضرت ههنا .. أريد
أن أكون حراً ..

رمقني الحراس بنظرات الفحص والتأمل .. كانت آثار
السلاسل في عنقي ، ومعالم القيود في يدي ظاهرة جليلة

— أجل ! .. يلوح لنا أنك قد خطمت قيود الأسر .. ولكن

يا ترى .. هل اقتلعت قيودك الباطنية أيضا ، وقذفت بها ؟

قلت :

— لم أفهم ماذا عنيتم !

— إذن أجب عن هذه الأسئلة :

١ — هل أنت مسيطر على نفسك ؟

٢ — أحب الصدق ؟

٣ — أستطيع تحمل الحقيقة ؟

٤ — هل أنت ذو كبرياء ؟

اتضح لي أنهم يتحنونني قبل إفراجهم عن الطريق لدخول
فأجبت عن كل هذه الأسئلة (نعم)

أنحني الحراس أمامي احتراماً لي ، وفتحوا لي باب القلعة ثم
راقبني أحدهم إلى الداخل

كانت المدينة قد استيقظت ، والجوانيت والأسواق قد نشطت

في بلاد الأحرار

للطبيب التركي الأستاذ أغا أغلو أحمد

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى الخطيب

عندما استتب الأمر لمصطفى كمال في تركيا ، وشرع
في تنفيذ إصلاحاته الطبية ، أتت البروفيسور الكاتب
التركي المروف أغا أغلو أحمد ، وأحد زملاء أتاتورك
في الجهاد ضد الاستبداد كتابه الموسوم : (في بلاد الأحرار)
ليكون نهجا واضحا للذين يريدون الإصلاح عملاء والحرية
خلقاً ، وبكالفة الطفانيات طيبة ... وقد كتبه بأسلوبه
البليغ الساحر في شكل قصة شائقة خالية من الغموض
والتعقيد ، يستطيع أن يفهمها بكل سهولة ويسر ، التعلم
مهما كانت ثقافته ، ويستثير وينتظ بها قادة الحكم
ومحرفو السياسة مهما كانت نزواتهم وشهواتهم

وقد خُطر لي أن أقبل هذا الكتاب إلى القاعة العربية
وأن أنشره في شكل مقالات متصلة أولاً ، ثم في هيئة
كتاب مستقل ثانياً

وإني أعتقد أن الفرصة قد سنحت لإخراج هذا الكتاب
أقيم على أي صورة ... فتمة طالع جبار يطرء من أرض
الكنانة إلى غير عمدة ... وقائد بار شجاع يتولى
قيادة الأمة المصرية إلى حيث العرف والعزة والمكرامة
والعدل .. وشعب أبي متحرر اقتد نفسه بنفسه من
عهد فاجر جائر ، يريد سلوك خير الطرق وأفضل الوصول
إلى أهدافه ومثله العليا .. ألا يجب أن يكون لكتاب
(في بلاد الأحرار) مكان على صفحات الرسالة الزاهرة لينير
الطريق ، ويرشد الضال ، ويوقظ الهم ، ويضع الأسس ،
ويصف الغاء ثم الدواء . أ . م . الخطيب

كنت أسيراً فشئت أن أكون حراً

كنت أسيراً ، فشئت أن أكون حراً ، خطمت سلاسل ،
وقبعت جدار الحصن .. فتفنت إلى الأرض الفضاء .. وهناك
تنفست الصعداء

امتد أمامي براح شاسع .. ولم أكن عارفاً إلى أين أجه ؟ ولا
ماذا أعمل ؟

وطوال استمرار الحال على هذا النوال كانت بلادى قوية ،

مهيبة ، مرفوعة الكلمة بين الممالك .. إلى أن جاء يوم فسدت فيه دماؤنا ، وشرعنا نقلد البلاد المستعبدة في تقاليدها ومواطنيها .. فتلاشت مجالس الشورى ، واختل النظام ، وانتصر الاستبداد ، وصار شمي السيد الأمر عبداً رقيقاً ...

ومنذ ذلك الحين انطفأت نارنا الواهجة ، واضمحلت صيقتنا الدائع ، وتلاشى صوتنا المدوى .. حتى حل يوم أراد فيه خاقنا السافل أن يبيعنا للأغراب .. وعندئذ بلغ السيل الزبى ، وطفحت الكأس

خرج من صفوفنا شخص ذو شعور ذهبي ، وسحنة رجلية ، ونظرة هي نظرة الأسد بعينها ...

فإذا هو الدائد عن حمى بلاده ، والضعف بوطنه ، ورسول ربه الكريم ...

قال أقوالاً بثت بالحمى الدافقة إلى القلوب الجامدة ، وبالحياة إلى العروق الميتة ، عمل أعمالاً دهشت منها القاصي والداني .. طرد الأغراب من المواطن وأسقط الخاقان من عرشه .. وهو اليوم منهمك في لم شعث أمته حول راية الحرية الخائقة ...

إنني كنت حينذاك من أسرى الخاقان في سجنه .. وبينما أتعذب على أشواك الناس والقنوط ، إذا أنا بصوت رجل الحق يطرق سمى ...

دبت في الحياة فجأة ، فخطمت سلاسلى ، وأحدثت فجوة في الجدار ، وجئت إلى هذه الديار في طريق إلى الحرية التي أنشدتها أسمى إلى الأساتذة باعتناء واهتمام شديدين .. ثم قال أحدم :

— أجل ! أجل ! ! إننا كذلك نعرف ذلك البطل ونحبه جبا جبا ، ونحن إنما نعمل هنا وقتاً لمبادئه وفكرته ...

ثم أضاف إلى كلامه قائلاً :

— هل عقدت النية على أن تكون حراً ؟

— نعم !

وكان الجميع دائبين في أعمالهم

إنها أول مرة في حياتي ، كنت أرى فيها مدينة جميلة عليها سيماء العمران كهذه .. فالسعادة والهناء تقرأها في رجوه الأهلين أينما حلت ، وحيثما ذهبت .. وكان الذين يلقوننا في الطرق يتسمون في وجوهنا ويهشون لنا ويرتاحون

وأخيراً انتهى بنا المطاف عندما وقفنا أمام باب دار كبيرة طرق الحارس الباب ، فجاء شيخ طاعن في السن قال الحارس مشيراً إلى — وطني جديد !

حياتى الشيخ باحترام ودعائى إلى الدخول ثم قادنى إلى غرفة فسيحة وقال :

هذا الموضع لكم بكل ما فيه وقبل أن أفيق من التجهول الذى انتابنى ؟ أضاف الشيخ إلى كلامه قائلاً : سيحضر أساتذتنا بعد قليل لمقابلتكم .. خذوا قسطكم من الراحة الآن وإذ غادر الشيخ الغرفة جاءنى رجل تبدو عليه أمارات الفتوة وأحضر لى طعاماً وشراباً

وبعد لآلى حضر الأساتذة أيضاً .. وذهبوا إلى غرفة أخرى ؛ وهناك سألتنى من أنا ؟ ومن أين أتيت ؟ ولماذا قدمت هذا المكان ؟ فأجبتهم هكذا :

« .. أرومتى أصيلة .. بلادى نجية ، دى طاهر تقى .. كان موطنى قديماً هضاب آسية الوسطى المالية .. ثم نار الدم في عروق أجدادى وهاج .. فتغلغلوا في الشرق والغرب ، والشمال والجنوب .. واجتاحوا الممالك ، وشادوا الدول ، وأنشأوا الحضارات ...

كان زعمائنا قبلاً يعيشون عيشة ساذجة ، يشاركون الشعب في سرائه وضرائه ؛ يحترمون المهود والمواثيق ، يطعمون الحق ومجالس الشورى .. وكانت قادة الحكم ، ورؤساء القبائل وملوك البلاد لا يخشون شيئاً في سبيل الذود عن كرامة الحق ، وقولة الصدق ، والتكليف بالطفة ، ومنع الاستبداد ...